أغنية حب

كم سعدت وأنا أكتب لكم هذه السطور! في أحيان كثيرة يعجز القلم عن مطاوعة الفكر في السيلان بأفكار تجيش وتفور! إن هذه هي قصة حياتي في كلمات قليلة. لقد تغيرت حياتي بفعل قوة الله القدير الذي أحبني واختارني. لم أكن أعلم أن يد الرحمة مفعمة باللذة وفيض الصبابة. صدقوني لم أشعر قط بلذة الحب وعذوبة العشق كما الآن! صرت مهووسا بالمسيح حبيبي، حب قلبي...

بدا الله في أجل مقام لي أنا الخاطئ المذنب. ذقت خمرة معتقة أريجها إلهي فياح كزهرة صباحية التفتح تغازلها قطرات الندى، وتمسح عن عينيها ضباب الظلام الليلي! أو كسنبلة تمايلها نسيمات الرياح اللطيفة.

أطربت روحي خمرة الكتاب المقدس. فما عدت أبغي زقافا غيره. يا ألله! يا ألله! يا ألله! هكذا صرت أنا! هكذا صارت حياتي بعدما تركني العالم جسدا نتنا خبيثا أمام مرآة الأب القدوس. هكذا انتشلني المولى من مزبلة بلاء الشيطان، بعلزبول القذر.

اخوتي، لقد كنت أكثر خلق الله نفاقا! تهت في بحار الظلام والشهوات. لعبتْ بي أمواجه، تتقاذفني جسدا ميتا بلا روح. أو كصريع يتخبطه التيه في خضم وعر. لقد كنت أُحسني صاعدا إلى فوق ثم أهوي إلى جب سحيق! سحيق!

هذه بعض أحوالي الماضية... لن أنسى أبدا بركة الله علي. عطفه. محبته التي جعلته ينكر ذاته، ويرمي "أناه" في قعر عميق كي لا أهلك. إن ذنوبي تخجلني. والآن بعدما عرفته تحاول أن تحطمني! تهزني، تؤلمني! كيف أنساها ودماه تسائلني كل يوم بكثير من الأسئلة. أنا أجرمت في حقه. لولا ذنوبي لما كان قد صلب. ولما كان قد قُتل. ولما كان قد أهين وعذب.

إنما وعدا أعد المولى القدير، لن أُفرح الشيطان. لن أرتمي في حضنه النتن. سأبقى ابنا للأب. سأرد الجميل الذي لا ثمن له. سأطيع كلامه. سأكون دوما أمينا وفيا مخلصا للمسيح سيدي. لن أخذله. إنه العشق، عشق أنوار ربانية أفاضها الأب على ابنه، ففاضت لتعم أرجاء الدنيا ويهتدي بها الناس. وأنا واحد منهم. ودمتم لمولانا المسيح، له الجلال إلى الأبد. آمين.

عبد اللطيف